مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص1– ص35 يناير 2013
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

النسبي والمطلق
في مفهوم الدين والحق والأخلاق

أ.د. محمود يوسف الشوبكي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

ورئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة فيها.

و رئيس جمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب – غزة.

ملخص: إن هذا الموضوع يعتبر من الموضوعات المهمة جداً؛ لأنه من الأمور التي تمس الدين خاصة في مجال العقيدة، فينبغي أن نتعرف على كل من النسبي والمطلق، وما المراد بهما. عرفت في هذا البحث النسبي والمطلق وهو أن المراد بالنسبي ما يقبل الاختلاف والتغيير وليس مقدساً، أما المطلق فهو الثابت الذي لا يقبل الاختلاف والتغيير.

ثم تحدثت في هذا البحث أيضا على توضيح نظرة المفكرين الغربيين في كل من الغيب والدين، وقارنت ذلك بالدين الإسلامي. وتحدثت في هذا البحث عن الحق بين النسبي والمطلق، وبينت أن القول بنسبية الحق يعتبر قولاً خطيراً، وهو من أقوال السفسطائيين حيث إنهم أول من قال بنسبية الحقيقة، وقد بينت موقف علماء الإسلام من ذلك مثل ابن تيمية وابن حزم رحمهما الله تعالى.

ثم تحدثت عن الأخلاق وهل هي نسبية أم مطلقة؟ وموقف الإسلام من ذلك، وآراء المفكرين الغربيين في نسبية الأخلاق، وخلصت إلى أن الأخلاق عند الغربيين نسبية، ويختلف مصدرها عندهم من مذهب لآخر، بل من مفكر لآخر، وذلك يعارض الشريعة الإسلامية، وينسف الأخلاق من جذورها، وينشر الإباحية والخلاعة والسفور والانحطاط، وذلك هو واقع المجتمع الغربي حالياً، والقول بنسبية الأخلاق يتضمن القول بعدم قبول ما جاءت به الرسل من العقائد والشرائع الخالدة، وعدم احترام المصلحين، وفي ذلك مخالفة لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعمل الأمة الإسلامية.

The Relative and Absolute in the Concept of Religion, Truth and Morality

Abstract: This topic of this paper is a very significant one as it relates the core of religion and the essence of faith. It necessary therefore to recognize the relative and absolute, and determine their significance. The paper defines the meaning of the relative and absolute, the former refers to that which is not sacred, accepts difference, and is liable to change; the latter refers to that which is constant, accepting neither difference nor change.

The paper clarifies Western thinkers' position on notions of religion and the unseen, and compares their stance to the perspective of Islam. It further treats the issue of Truth as it relates to the relative and absolute. Claiming that truth is relative is a dangerous stance, invented by the sophists, who were the first to initiate the claim that truth is relative. In this respect, the paper highlights the stance of the Muslim scholars, including Ibn Taymiyyah and Ibn Hazm
The paper deals with the question whether morality is relative or absolute, the position of Islam in this regard, and the views of Western thinkers on the relativity of ethics. The paper concludes that ethics for Western thinkers is relative, and that they derive from different sources based on different doctrines or even thinkers. The paper finally indicates that the claim that ethics are relative contradicts the moral system of Islam and undermines the roots of morality. This stance promotes disintegration and deterioration of morality, a prominent reality in Western society. The claim of relativity of ethics implies a rejection of the transcendent messages sent down to the Chosen Prophets and of their eternal legal systems and undermines the efforts of reformers. The clear Signs of the Qur'an, the tradition of the Prophetic Sunnah, and the constant ethical culture of Muslims clearly refute any claims of the relativity of ethical values, which remain constant throughout.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلَ له، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال الله _ تبارك و تعالى _:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** }(آل عمران ، 102).

وقال أيضاً:{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** } (النساء ، 1) .
وقال كذلك:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** } (الأحزاب : 70-71) .

أما بعد:

فإن المطلق والنسبي من الأمور التي تمس جوهر الدين والعقيدة والأخلاق، ولعل من الأمور التي جعلت بعض علماء المسلمين يكتبون فيها مجدداً إثارة عدد من الفلاسفة الغربيين لهذه القضية، ومن

أصعب الأمور هو قلة المصادر والمراجع في هذا الباب وقد بذلت جهدي حتى عثرت على المصادر والمراجع المتوفرة وقد قسمت هذا البحث إلي أربعة مباحث كما هو موضح في محتويات هذا البحث.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه من الأمور التي لها علاقة وثيقة بالعقيدة الإسلامية، حيث إن القول بنسبية الحق والدين والأخلاق فيه مخالفة واضحة لما جاء به الإسلام في كثير من المواضع ؛ بل القول بذلك يؤدي إلي نسف الدين من أساسه.

منهج البحث: المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

محتويات البحث: هذا البحث يتكون من :

1- مقدمة: بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره، و منهج البحث، ومحتويات البحث.

2- المبحث الأول : تعريف المطلق و النسبي

المطلب الأول: تعريف المطلق لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني:. تعريف النسبي لغة واصطلاحا.

3- المبحث الثاني: الدين بين النسبي و المطلق

المطلب الأول: الدين بين النسبي و المطلق عند مفكري الغرب.

المطلب الثاني: الدين بين النسبي و المطلق في الإسلام.

4- المبحث الثالث: الحق بين النسبي والمطلق.

المطلب الأول: الحق بين النسبي والمطلق عند مفكري الغرب.

المطلب الثاني: الحق بين النسبي والمطلق عند علماء المسلمين.

5- المبحث الرابع: الأخلاق بين النسبي والمطلق.

المطلب الأول: الأخلاق بين النسبي والمطلق عند المفكرين الغربيين.

المطلب الثاني: الأخلاق بين النسبي والمطلق في الإسلام.

6- الخاتمة : بينت فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول : تعريف المطلق و النسبي

إن المطلق والنسبي من الأمور التي استجدت في أمور الدين في مجال العقيدة خاصة، وسوف نتعرف في هذا المطلب بإذن الله - تعالى -على المطلق في كلٍ من اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف المطلق لغةً واصطلاحاً:

أولاً: - تعريف المطلق في اللغة:

قال ابن فارس – رحمه الله – "الإطلاق أن يذكَر الشيء باسمه لا يُقرَن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك"(1).

المطلق: هو اسم مفعول، مأخوذ من مادة يدور معناها حول الانفكاك و التخلية من وثاق، ومنه استعير طلقت المرأة نحو خليتها ، فهي طالق ؛ أي مخلاة من حبالة النكاح، والتركيب يدل على الحل والانحلال، يقال: رجل طلق اليد أو اليدين سمح سخي، وفرس طلق اليد ليس فيها تحجيل والظبي لسرعة عدوه، و أطلقت الأسير خليت عنه فانطلق ؛ أي: ذهب في سبيله، ومن هنا قيل: أطلقت القول؛ أي: أرسلته بغير قيد ولا شرط، وأطلقت البينة: شهدت من غير تقييد بتاريخ(2)

والمطلق الدال على الماهية بلا قيد أو شرط أو ما لم يقيد بصفة معنوية ولا نطقية ،والمطلق الذي يتمكن من جميع التصرفات (3). وماهية الشيء هي حقيقته

والله _ عز وجل _ هو الغنيّ المطلق، والمالك المطلق لا إله إلاَّ هو ولا ربَّ غيرُه(4)

ثانياً: - تعريف المطلق في الاصطلاح:

يقول "سبنسر" في كتابه المبادئ الأولى باستحالة وصول العقل إلى معرفة المطلق، "وإن كل محاولة يقوم بها العقل من أجل تصور المطلق أو اللا متناهي، لابد أن تنتهي إلى تعيينه أو تحديده، وبالتالي

---

(1)الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، ص 164، المكتبة السلفية، القاهرة، سنة 1328ه.

(2) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص484، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى1410، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، 563/2، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

(3)انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص663، ، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، 563/2،

(4) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، 124/1، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، 886/2، تحقيق : مجمع اللغة العربية، الناشر : دار الدعوة.

فإنها لابد من أن تحوله إلى نسبي أو متناه، ولكن "سبنسر" مع هذا لا يرى أن المطلق غير موجود، فنحن حينما نقرر أنه ليس في وسعنا تصور المطلق بعقولنا، فإننا أيضاً نحكم بعقولنا أنه موجود"(5).

فالمطلق يقابل النسبي ، ومعناه في المنطق: اليقيني، بالقياس على ما هو افتراضي، محتمل الصدق(6).

وهو عادةً يتسم بالثبات والعالمية، فهو لا يرتبط بأرض معيَّنة ولا بشعب معيَّن ولا بظروف أو ملابسات معيَّنة(7).

والحقائق المطلقة هي الحقائق القَبْلية التي لا يستمدها العقل من الإحساس والتجربة بل يستمدها من المبدأ الأول وهو أساسها النهائي، ويمكن وصف الإله الواحد المتجاوز – عن الزمان والمكان - بأنه المُطلَق(8).

ومرادهم هنا بالقبلي هو الشيء الفطري والعقلي الذي لا يحتاج في معرفته إلي أحد بحيث يتساوى الناس في معرفته والزعم بأن الله _ سبحانه _ هو المطلق وهو لفظ عام يحتاج إلي تفصيل ؛ لأنه إذا أريد بالمطلق هو الخالي من الصفات فهذا باطل ومخالف لما جاء به القرآن.

والحقيقة المطلقة هي النقطة التي تتلاقى عندها كل الأضداد وفروع المعرفة جميعاً من علم ودين، وهي النقطة التي يتداخل فيها المقدَّس والزمني (فهي وحدة وجود كاملة) (9).

أما في السياسة، فهي تعني سيادة الحاكم أو الدولة بغير قيد ولا شرط. (10)

وفي مجال المعرفة، تعبِّر المطلقية عن اللانسبية، وهي القول بإمكان التوصل إلى الحقيقة واليقين المعرفي بسبب وجود حقائق مطلقة وراء مظاهر الطبيعة الزمنية المتغيِّرة المتجاوزة لها(11).

---

(5) الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر، للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، ص23,22،الناشر دار الاعتصام، طبعة دار العلوم، القاهرة.

(6) الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف : محمد شفيق غربال، ص1713، دار الشعب، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

(7) موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، عبد الوهاب المسيري59/1، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الأولى 1999م.

(8) المصدر السابق الجزء و الصفحة .

(9) نفس المصدر الجزء والصفحة.

(10) المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، ص410، الطبعة الثالثة، سنة 1979م .

والدولة المطلقة هي الدولة التي لا تُنسب أحكامها إلى غيرها فمصلحتها مطلقة وإرادتها مطلقة وسيادتها مطلقة.

ولكن الذي يهمنا من تعريفات المطلق هو ما يتعلق بالفلسفة حيث إن الفلسفة تهتم بالقضايا الدينية والأخلاق.

فالمطلق في الفلسفة : "هو علة الوجود ، أو ما يقال علة الشيء بالذات" (12).

"وفكرة المطلق واردة في فلسفات كثيرة ، مثالية وواقعية، لكن اشتهرت بها فلسفة هيجل"(13).

والمطلق في الفلسفة الدينية : "مرادف للفظ الله، أو هو صفة له، ويختلف معناه في الفلسفة العامة باختلاف المذاهب، فهو اللامحدود اللامشروط بغيره، أو الكامل المستغني بذاته عن سواه، أو الذي يتوقف وجوده عن الذات المدركة له، أو المبدأ الشامل الذي ينطوي عليه الكون، والذي تمحى فيه الفوارق والاختلافات" (14).

ومراد الفلاسفة بعلة الوجود أو المطلق هو الخالق سبحانه، مع أن هذه الصفة لا يصح إطلاقها على الله _ سبحانه وتعالى _، وإن استعملها علماء الإسلام فكان ذلك في سياق الرد على الفلاسفة ومخاطبتهم ومحاجتهم بمصطلحاتهم التي يفهمونها وليس على سبيل وصف الله _ عز وجل _ بما لم يرد في الكتاب والسنة.

وبعد هذه التعريفات نستطيع أن نعتمد على ما ذهب إليه المفكر عبد الوهاب المسيري، بأن المطلق" يعني التام أو الكامل المتعري عن كل قيد أو حصر أو استثناء أو شرط، والخالص من كل تعيُّن أو تحديد، الموجود في ذاته وبذاته، واجب الوجود المتجاوز للزمان والمكان حتى إن تجلى فيهما"(15) مع مراعاة أن تجلي المطلق في الزمان والمكان إن أريد به الله _ سبحانه_ فهذا لا يصح في حقه .

---

(11) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 59/1.

(12) المعجم الفلسفي، ص410.

(13) الموسوعة العربية الميسرة، ص1713.

(14) المصدر السابق.

(15) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 59/1.

المطلقية في الأخلاق: هي الذهاب إلى أن معايير القيم - أخلاقيةً كانت أم جماليةً - مطلقةٌ موضوعيةٌ خالدةٌ متجاوزةٌ للزمان والمكان، ومن ثم يمكن إصدار أحكام أخلاقية(16).

فالمطلق في الأخلاق المراد به: الأخلاق الثابتة التي لا تقبل التغيير والتبديل مع تغير الزمان والمكان سواءً اتفقت عليها العقول المستقيمة أو أقرها دين الله الحق.

ونخلص من ذلك إلى أن المراد بالمطلق هو الثابت الذي لا يقبل الاختلاف والتغيير، ولا يختلف عليه العقلاء .

المطلب الثاني: تعريف النسبي لغةً واصطلاحاً:

في الحقيقة أن الحديث عن النسبي من الأمور المستجدة، لذلك وجدنا صعوبة في تعريفه لغةً واصطلاحاً؛ حيث إن الكتب القديمة لم تتحدث في الموضوع، خاصة كتب اللغة.

أولاً: - تعريف النسبي في اللغة:

أن تعريف النسبي في كتب اللغة من الصعب الوصول إليه، حيث إنه لم يرد فيها، ولكن يمكننا استنباط تعريفه من خلال مفهوم مخالفة الأولى، فهو عكس المطلق.

وبذلك يكون النسبي: هو الشيء المنسوب لغيره، وعند ذكره يُقرَن به صفة أو شرط أو زمان أو عدد أو شيء يشبه ذلك.(17)

والمنسوب اسم مفعول من نسب، ومنسوب الماء في النهر المستوى الذي يصل إليه في ارتفاعه، والنسب: هو القرابة ، ويقال نسبه في بني فلان فهو منهم. والنسبة هي الصلة أو القرابة(18).

"وفي الرياضة: نتيجة مقارنة إحدى كميتين من نوع واحد بالأخرى والمقدار المنسوب، ويقال يضاف هذا إلى هذا بنسبة كذا أي بمقدار كذا، ويقال بالنسبة إلى كذا بالنظر والإضافة إليه، والنسبة المئوية: مقدار الشيء منسوبا إلى مائة. النسبية: هي المبدأ القائل بتكافؤ صيغ القوانين الفيزيقية كيفما اختلفت حركات الراصدين لها أو كيفما اختلفت حركات المراجع التي تسند تلك القوانين إليها. والنظرية النسبية: هي التي يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية إلى معرفة ما تفضي إليه من

---

(16)انظر: المصدر السابق.

(17) انظر: الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، ص 164 ، وذلك في تعريفه للمطلق حيث النسبي عكسه.

(18) انظر: تاج العروس 260/4.

نتائج"(19). والكلام في النسبي هو من باب أن الشيء مقيد بغيره ومقارن به أو مقاس عليه ،وهو عكس المطلق غير المقيد ،ولا يقارن بغيره ولا يقاس عليه.

ثانياً: تعريف النسبي في الاصطلاح:

النسبي بوجه عام: المقيد بغيره المرتبط به(20).

أما بوجه خاص: ما ينسب إلي غيره ولا يتعين إلا مقروناً به، ومنه الحكم النسبي يقابل المطلقة النسبية صفة لكل ما هو نسبي أو إضافي .ونسبية المعرفة: هي أن كل معرفة تطلق على علاقة شيء بأخر أو على علاقته بالذات العارفة(21)

الملاحظ للوهلة الأولى أن عبارة المطلقة النسبية تحمل التناقض حيث إن النسبي عكس المطلق، فكيف نصف شيئاً بالنقيضين؟ وإذا أمعنا النظر نجد أنه لا يوجد تناقض، ويكون المعنى أن هذا الحكم النسبي بوجه خاص متفق عليه وهو ثابت بهذا المعنى فيتصف بالمطلق من هذا الجانب؛ لأن الثابت المتفق عليه يعد مطلق، والمختلف عليه يعد نسبي؛ فإذا اتفقنا على شيء بأنه نسبي، فيمكن وصفه بالمطلق لاتفاقنا عليه، فإن اتفقنا أنه نسبي يوصف بالنسبية المطلقة، وبذلك يصح وصف الحكم بالمطلقة النسبية.

"ومذهب النسبية: هو مذهب يرى أن المعارف والقيم الإنسانية ليست مطلقة؛ بل تختلف باختلاف الظروف والاعتبارات ومنها النسبية الأخلاقية حيث يرى أصحاب هذا الرأي القول بأن فكرة الخير والشر تختلف باختلاف الأزمان والجماعات"(22).

وقد عرف المفكر عبد الوهاب المسيري النسبي بقوله: " النسبي ما ينُسَب إلى غيره ويتوقف وجوده عليه ولا يتعيَّن إلا مقروناً به، وهو عكس المطلق، وهو مقيد وناقص ومحدود مرتبط بالزمان والمكان يتلون بهما ويتغيَّر بتغيرهما، ولذا فالنسبي ليس بعالمي" (23)

---

(19)المعجم الوسيط،916/2.

(20) المعجم الفلسفي ، ص444.

(21) المصدر السابق، ص200.

(22) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 59/1،.

(23) المصدر السابق ، الجزء و الصفحة .

فالنسبي هو ما يتعلق بشيء أخر يكون سابقاً له، وهذا الشيء يتحكم فيه، كما أن النسبي لا يشمل جميع المجتمعات سواء كانت قديمة أو معاصرة، وكل نسبي لا يتصف بالثبات ولا يملك القداسة، وهو قابل للتغير والاختلاف .

المبحث الثاني

الدين بين النسبي و المطلق

المطلب الأول: الدين بين النسبي و المطلق عند مفكري الغرب:

إن الدين لدى مفكري الغرب تختلف مصادره، فقد كان الوحي هو مصدر الدين – رغم تحريفه - في الفكر الغربي لزمن طويل، وإن كان هنالك بعض الفلاسفة قد رفضوا ذلك مثل الدهريين الذين ذكرهم القرآن كالنمرود، ومن المعاصرين الذين يركز البحث عليهم؛ حيث إن " في نهاية القرن السابع عشر كان معظم القادة الدينيين في انجلترا قد اتفقوا علي أن جوهر الدين إنما هو مجموعة العقائد يمكن إثباتها بالعقل الطبيعي وحده دون عون أو مساعدة" (24) ؛ أي أن مصدر الدين من العقل وليس من الوحي، ويجيب على ذلك سبنسر(25) قائلا " إذا كان كل من الدين والعلم يسلم بوجود مبدأ مطلق هيهات لنا أن نسبر غوره، أو حقيقة عليا، يستحيل علينا أن نزيح النقاب عن أسرارها" (26) فمن خلال قوله هذا نستنبط بأن العقل ليس هو المصدر المطلق، بل هناك غيره كالدين.

---

(24) تكوين العقل الحديث ، جون هرمان راندل، 424/1، ترجمة : جورج طعمه ، مراجعة: برهان. الرجاني، تقديم: محمد حسين هيكل ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدون رقم طبعه .

(25) سبنسر، هربرت (1820 - 1903م). فيلسوف بريطاني، حاول تكوين فلسفة شاملة على أساس الاكتشافات العلمية في عصره. تأثر سبنسر كثيرًا بعالم الطبيعة الانجليزي تشارلز داروين. طبق قانونه وقانون داروين الأساسي ــ فكرة النشوء والارتقاء (التطور التدريجي) ــ على علم الأحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم أخرى. تضم أعمال سبنسر: المهمة الأخرى المبادئ الأولية (1862م) ومبادئ علم الأخلاق (1879- 1893م)، انظر: الموسوعة العربية العالمية،1/ 92، الطبعة الثانية، طبعة مؤسسة أعمال الموسوعة.

(26) الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر، للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، ص23,22، دار الاعتصام، طبعة دار العلوم، القاهرة.

وجاء أصحاب المذهب الوضعي ، وعلى رأسهم أوجست كونت(27)، وليفي بريل(28)، ودور كايم(29)، واستبعدوا الدين كمصدر من مصادر المعرفة ، فرجل الدين الذي يحدث الناس عن الغيب لهو أشبه بذلك المهرج الذي يصعد على خشبة المسرح ليضحك الناس بينما بطونهم تئن من الجوع(30) فالمجتمع هو مصدر الدين والأخلاق والقيم عندهم.

وذهب أوجست كونت إلى إنكار التعاليم السماوية والمعتقدات الموحى بها من الأديان السماوية ويعدها خيالية، وزعم أنه إذا كان هناك دين يحقق بطريقة يقينية نهائية الفطرة الدينية الأولية التي لا غنى عنها في الطبيعة البشرية فهو المذهب الوضعي أو دين الإنسانية - يقصد بذلك أن الإنسان يتخذ إلهاً له من قبل نفسه (31).

فهو يرى أن الدين عبارة عما يُلزم المجتمع به الفرد ويضطره لقبول ما يفرضه عليه، سواء كان خيرا أو شرا.

---

(27) أوجست كونت: فيلسوف فرنسي تربي علي الدين الكاثوليكي، وانتسب وهو في السادسة عشرة من عمره إلي كلية العلوم التقنية التقي في سنه 1818م (بسان سيمون) فأصبح تلميذاً له وعمل أمينا لسره - وانتقل عنه بعد سته أعوام، وعمل مفكراً مستقلاً ، وفي سنه 1826م ، عاد إلي التدريس عين سنه 1832م معيداً لمادة التحليل والميكانيكا ، وطالب بتأسيس كرسي تاريخ عام للعلوم الوضعية يشغله هو ، و فصل من العمل سنه 1844م ، مذهبه: لا يؤمن إلا بالوضعية التجريبية وهو مكرس الوضعية الحديثة مع استاذه سان سيمون اختار كونت لمجتمعه ديناً انتقائياً يقوم علي عبادة الإنسان التي يجب تأليهها . واستبدل التصور الخيالي عن الله بالتصور الوضعي انظر: موسوعة الأعلام الفلسفية، تأليف زوني ايلي ألفا 305,303/2 مراجعة د. جورج نخل ، دار الكتب العلمية بيروت .

(28) ليفي بريل: فيلسوف فرنسي من أتباع أوجست كونت، رئيس لجنة منفذي وصاياه، ترأس اللجنة الوضعية، وساهم في تحرير السياسة الوضعية (1873) وفي عام 1878 أسس المجلة الغربية وأصبح أستاذاً للتاريخ العام للعلوم في الكوليج دي فرانس عام (1903)، انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية، 337/2 .

(29) دوركايم هو: إميل دوركايم (1858 - 1917) صاحب فكرة العقل الجمعي (أمر من الجماعة بمثابة الضمير من الفرد فيصدر أحكاما مباشرة على القيم الأخلاقية لأعمال معينة يرضي ويسخط أو يثور ويتألم وبه قال دور كايم) انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربة صـــ 121مطبعة الهيئة العامة للشئون الأميرية.

(30) انظر: قضايا معاصرة في ضوء الإسلام ، حلمي عبد المنعم صابر،ص61 ، دار عالم الكتب.

(31)انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل يوثر، من ص15:41 ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ونتيجة لإنكار الوحي والأمور الغيبية، ذهب كثير من مفكري الغرب إلى إنكار الثواب والعقاب في الآخرة وهذا بسبب عقيدة اللذة وتحقيق المنفعة التي يلهثون خلفها، فنتج من ذلك عدم إيمانهم بالآخرة، أو أي أمر غيبي، ومن هؤلاء المفكرين توماس هوبز(32) وكذلك رواد المذهب النفعي أمثال جريمي بنتام (33) و رواد المدرسة الوجودية المتحللة أمثال جان بول سارتر(34) وكذلك وليم جيمس(35) رائد الفلسفة البرجماتيه، فإن هؤلاء المفكرين ربطوا جزاء الفعل على ما ينتج عنه من منفعة أو مضرة ينالها فاعله .

---

(32) توماس هوبز: 1588- 1679 م فيلسوف إنجليزي درس في جامعة أوكسفورد وتخرج منها ليصر مؤدباً لأحد أبناء عائلة كافنديش . سافر لفترة إلي إيطاليا ثم إلي فرنسا فتعرف علي(جا ليلي ومرسين وغاسندي) وعاد إلي بلاده والتي ما لبث أن غادرها سنة 1640 بسبب خوفة من المشاكل السياسية . استقر في باريس وعاد مرة اخري إلي بلده وفي عام 1667 م صدر قانون يدين الإلحاد ويحكم ضمناً علي كتاب هوبز (التنين) فحماه الملك علي ألا يعود إلي النشر مرة اخري، و في مؤلف جديد فلسفي: التزم بالمذهب الحسي الأناني المنفعه الفردية * انظر: موسوعة اعلام الفلاسفة2/ 549 .

(33) جيرمي بنتام ولد في لندن سنة 1748 توفي سنة 1832 فيلسوف إنجليزي اعتنق المنذهب النفعي . له كتاب مدخل إلي مبادئ الأخلاق والتشريع وسافر إلي فرنسا ففي عام 1792 تلقي الجمعية التشريعية هناك لقب مواطن فرنسي ووضع مشروعاً لسجن نموذجي (1803) فنال مكافئة علي كتاباته حول الإرادة الكولو نيالية والإصلاحات التي يتعين إجراؤها في إدارة السجون ودعا إلي الإصلاح الدستوري وأسس حزب مبني على المذهب النفعي فمذهبه أن الناس يتبعون اللذة ويجتنبون الألم بالطبع إلا أنها كانت مشهورة بالنفعية العامة. انظر: تاريخ الفلسفة الحد يثة د/ يوسف كرم ص 343 دار المعارف مصر وانظر كذلك موسوعة أعلام الفلاسفة الجزء الأول ص 245 ، 246 بتصرف .

(34) جان بول سارتر : هو أديب وفيلسوف فرنسي ولد عام 1905 يعد أشهر الوجوديين في فرنسا واقترنت الوجودية باسمة . وهو مادي ملحد تعد فلسفة سارتر تعبيراً عن يأس إنسان ما بعد الحرب وبصفة خاصة يأس الإنسان الفرنسي الذي هزمته النازية شر هزيمة ، كما يمكن اعتبار هذه الفلسفة أيديولوجية لإنسان يفتقر إلي المعتقدات والأسرة والهدف والحياة، انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص 457.

(35) وليم جيمس : ولد في نيويورك (1843 م) وتوفي في 1910 . فيلسوف أمريكي تقوم فلسفته علي نظرية في ديناميكية الحقيقة . فليس هناك شيء في هذا العالم قد بلغ صورته النهائية، والعالم لا يحتوي علي جواهر وهو في صيرورة دائمة وتعد فلسفة وليم فلسفة لا عقلية وهو يطلق عليها (المذهب التجريبي المتطرف) وله عده نظريات ومحاضرات في علم التشريح والنفس والفلسفة وله عدة مؤلفات أنظر: مدخل إلي الفكر الفلسفي يوزيف بوخينسكي ص 48، تاريخ الفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم ــ 416.

فنجد جون ستيورت مل(36) يقول عن الدين: بأنه "جوهر الاتجاه القوي المتحمس للعواطف والرغبات نحو هدف مثالي"(37).

بينما وضع الفيلسوف اليهودي هنري برجسون (38) نصب عينيه الفكرة القائلة بأنه ليس للدين والأخلاق مصدر رباني مطلقاً، ولا أسس عقلية تجعلهما حقيقة من الحقائق، وأن الوحي خرافة من اختراع الانسان، وأن اليوم الآخر والحياة الآخرة خرافة(39).

ويزعم وليم جيمس وهو زعيم المذهب النفعي (البرجماتي) أنه من الخطأ التمسك الدائم بالمعتقدات ، فالإيمان الراسخ عنده يحجب عن الإنسان المعرفة الصحيحة (40)

فجيمس لا يؤمن إلا بالمادي و المحسوسات فيقول : " الذي يبحث فيما وراء الطبيعة مثله مثل أعمى يبحث في حجرة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها ." (41)

أما الماركسية كمذهب فلسفي يؤمن بالحس وقيمته في التوجيه . فهو ضد الدين والعقل معاً. فيقول ماركس عن ذلك : " إن القانون والأخلاق والدين ليست في نظرنا إلا أوهاماً برجوازية ... وإن النظام الخلقي في مجتمع هو ديانته وقوانينه وليس إلا جزءاً من بناء زائل أقامته ظروف الإنتاج ويعكس مصالح الطبقة السائدة "(42)

---

(36)جون استيورت مل ،هو بن جيمس مل (1806 - 1873) انضم إلي فريق الشباب الذين كانوا يعملون علي نشر سياسة وأفكار بيتنام وجيمس مل ، وأنتجت عضواً بمجلس النواب سنة 1865 وبقي فيه ثلاث سنوات كتب في كثير من المجلات والجرائد منها (وست منستر) والتي كان يحررها بتنام وجيمس مل (أبوي) وكان موافقاً لمذهب بيتنام في النفعية ز وقام بشره وتكتمل ما نقص منه ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم، دار المعارف بمصر ص 343.

(37) الإنسان والأديان، لمحمد كمال جعفر، ص16، نقلا عن الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة .

(38) برجسون: هو هنري برجسون، فيلسوف يهودي فرنسي عاش ما بين(1859_1941) انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص 348_349، دار القلم، دمشق.

(39) انظر: المصدر السابق، ص348.

(40) انظر: نقد المذاهب المعاصرة ، د. إبراهيم مصطفى إبراهيم 121/1، نشر دار الوفاء للطباعة الإسكندرية.

(41) قضايا معاصرة في ضوء الإسلام ، ص66.

(42) عالم الإسلام المعاصر من مجموعه مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، 568,567/3، دار الأنصار، بتصرف.

مما تقدم يتبين لنا أن نظرة المفكرين الغربيين للدين تحكم بنسبيته حتى وإن اختلفوا في تحديد مصدره، والغاية منه

المطلب الثاني: الدين بين النسبي والمطلق في الإسلام:

يعد الدين عند المسلمين من المسلمات التي لا يمكن الخروج عنها ، فله مصادره الثابتة ، من القرآن والسنة والإجماع.

والغيب جزء مهم من الدين الإسلامي الذي نؤمن به، وهذا الغيب ينقسم إلى نسبي ومطلق، فالله– عز وجل – هو عالم الغيب والشهادة، فلا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، أما نحن البشر فالغيب بالنسبة لنا منه النسبي ومنه المطلق.

أما المطلق: فهو الذي لا يمكن أن نعلمه أبداً، فإنه لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - عند قوله تعالى: **{ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}** (النمل 65) " فإن العقلاء مع كونهم من أهل العلم و المعرفة لا يعلم أحد منهم الغيب إلا اللّه، وهذا هو الغيب المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه : **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا }** (الجن : 26)" (43).

ويقول أيضاً "الغيب المطلق الذي تعجز العقول عن معرفته"(44)

أما الغيب النسبي الذي يعلمه بعضنا دون بعض، حيث إنه سبحانه قد يطلع بعض خلقه على بعض الأمور المغيبة عن طريق الوحي، كما قال تعالى : **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا** (26) **إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** (27) **لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}** (28) (الجن : 26-28) ،وقد يحاول بعض الناس الاطلاع عليه بطرق غير مشروعة كما يحصل مع الكهان والسحرة والدجالين من الاطلاع على الغيب الماضي والحاضر.

وقد قال عنه شيخ الإسلام "والغيب المقيد ما علمه بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الإنس وشهدوه، فإنما هو غيب عمن غاب عنه، ليس هو غيبًا عمن شهده، والناس كلهم قد يغيب عن

---

(43)مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، 110/16، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.

(44) المصدر السابق ، 124/17.

هذا ما يشهده هذا، فيكون غيبًا مقيدًا، أي: غيبًا عمن غاب عنه من المخلوقين، لا عمن شهده، ليس غيبًا مطلقًا غاب عن المخلوقين قاطبة .

وقوله : {**عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**} (الزمر:46) ؛ أي عالم ما غاب عن العباد مطلقًا ومعينًا وما شهدوه، فهو سبحانه يعلم ذلك كله"(45)

"والغيب النسبي يتعلق بالماضي والحاضر، فما وقع في الماضي وغاب عنك، فهو بالنسبة لك غيب نسبي، وهذا أكثر ما يتحدث به الكهان، ، وأما الحاضر فهو ما خفي عليك وعلمه غيرك فما يدور خلف هذا الجدار هو بالنسبة لنا غيب وأما بالنسبة لمن حضره فيعتبر شهادة " (46).

أما الغيب المطلق فغالبا ما يتعلق بالمستقبل، فلا يعلمه إلا الله ، مثل: علم الساعة ، وموت الإنسان وقد بينها الحق _ تبارك وتعالى _ في قوله : {**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**} (لقمان 34).

وعلي كل حال فإن نصوص الدين الثابتة بالقرآن الكريم و بالسنة الصحيحة هي مطلقة وهي ثابتة لا جدال ولا مراء في ذلك، ومن رد الدين كان من الضالِّين.

وأما فهم النصوص، والقدرة على الاستنباط والتحليل للنصوص الدينية فهو نسبي فليس كل ما يعلمه العلماء يعلمه العامة، وليس كل ما يعلمه عالم يعلمه سائر العلماء والله أعلم.

المبحث الثالث

الحق بين النسبي والمطلق

المطلب الأول: الحق بين النسبي والمطلق عند مفكري الغرب:

هنالك ما يسمى بنظرية الحق النسبي، التي تقول إنَّ الحق لا يتمحض أبداً- ليمكن معرفته وتحديده؛ فالحق عند أصحابه لا معالمَ تبينه، ولا شريعة تحسم أمره، بل هو ملتبسٌ مختلطٌ، واسع الدائرة، يشمل أصحاب المذاهب المختلفة.

---

(45) نفس المصدر ، 110/16.

(46) الوجازة في شرح الأصول الثلاثة، للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ، ص125، شرح وتوضيح، الشيخ علي بن خضير الخضير .

فنجد من يقول عن الحقيقة " لا أحد يملك الحقيقة الملكية المطلقة " (47).

وإن هناك من يري بأن التسامح يمتنع معه الاعتقاد في حقيقة مطلقة، مثلما ذهب إليه جون ستيوارت مل... (48)

فهدف الفكر الوضعي . أن يجعل الحس و الواقع، جزءاً من طرق المعرفة؛ بل أراد أن يجعلها كمصدر فريد للمعرفة اليقينية، وكل ما يأتي وراء الطبيعة أو الحس أو الواقع خداع للحقيقة وليس حقيقة(49)

فالفلسفة الوضعية تقوم على إنكار المبادئ أو القوانين المطلقة المسلم بها سلفاً، والاعتماد في استخلاص الحقائق على مشاهدة الوقائع وترابطها وعلى التجربة الواقعية باستخدام الحواس، فالعبرة عندهم بالعلم التجريبي لا بالاجتهاد العقلي (50)

مثلاً الفكرة الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة البرجماتية– والتي هي من نتاج الفلسفة الوضعية-أن الأفكار كلها ؛ أي النظريات والفلسفات لا تجد معايير قيمتها وحقيقتها إلا في إمكانيات تطبيقاتها العملية المفيدة للحياة - فما هو مثمر هو وحده الحق - ولهذا فإن المعرفة والفكر ليسا إلا أدوات للعمل بالنسبة لهم (51)

فعندهم معيار الحق في القول والخير في الفعل هو العمل المنتج لا الحكم العقلي، وقد ذكر وليم جيمس أن " الخير أو الحق كورقة النقد الزائفة تظل صالحة للاستعمال حتى يثبت زيفها" (52).

---

(47) الممنوع والممتنع في نقد الذات المفكرة ، علي حرب ، ص180، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1995.

(48) انظر: ملاك الحقيقة المطلقة ، د . مراد وهبة، ص 193، طبعة خاصة تصدرها دار قباء ضمن مشروع مكتبة الأسرة، طبعة 1999م.

(49)انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د. محمد البهي، ص267,266 ، مكتبة وهبة.

(50)انظر: القانون الجنائي ، د. علي راشد ، ص36، دار النهضة ، الطبعة الثانية سنة 1974 .

(51)انظر: مدخل الفكر الفلسفي، يوزيف بوخينسكي، ترجمة: د. محمود حمدي زقزوق، ص59,58، دار الفكر العربي، سنة 1416هـ ، 1996 م.

(52) وليم جيمس بقلم : محمود زيدان ، ص182 ، دار المعارف بمصر بدون رقم الطبعة.

وإذا كان الحق والحقيقة هكذا عندهم وعند من تبعهم من المفكرين المسلمين، فليس غريباً أن تتسع دائرة الحق النسبي عند هؤلاء؛ لتشمل جميع الفِرَقَ الإسلامية القديمة والمعاصرة، فيكونوا جميعا على حق.

فقاعدة الحق النسبي: أي أن الحق الذي نحمله من فهم السلف الصالح لدين الله هو حق نسبي، ليس مطلق، فيجب علينا أن نحترم الآراء المبتدعة فإن ذلك لا يفسد للود قضية، فينبغي أن يعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه، بخلاف ما كان عليه سلفنا الصالح(53).

فقد بين الدكتور علي سامي النشار : بأن نسبية كل شيء قال بها بروتاغوراس(54)- كبير حكماء اليونان في عصره- حين أراد ان ينقد أصول المعرفة، فلم تعد حقيقة من حقائق العلم ثابتة أو مستقرة ؛ بل كل شيء في تغير مستمر (55) .

إن القول بنسبية الحق يعتبر قولاً خطيراً، وهو من أقوال السفسطائيين وغيرهم من أهل الضلال، فقد كانت هذه الجماعة تنكر وجود حقائق ثابتة ، وتدعي أن الحقيقة نسبية والسفسطائيون –أي معلمي الحكمة كما يزعمون - هم أول من قال بنسبية الحقيقة ، حينما ظهروا في اليونان ما بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، حيث كانت اليونان تموج بمجموعة من الأفكار والمذاهب المتباينة المتنوعة، فلجأوا لهذا القول في تأييد الآراء المتناقضة، إما شكاً في الجميع، أو التخلص من جهد طلب الحقيقة .

المطلب الثاني: الحق بين النسبي والمطلق عند علماء المسلمين:

لقد وقف علماء الإسلام في وجه هذه الأفكار الخاطئة عن نسبية الحق، وهنا نقول لهؤلاء لو أن رجلاً قال للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -: إن حديث الذبابة لا آخذ به؛ لأن محمداً ليس متخصصاً في الكيمياء، فماذا سيحكم عليه الإمام أحمد _ رحمه الله تعالى _؟!!، بل لو عرض هذا القول على عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه_ فماذا سيرد عليه؟؟!! هل سيرد عليه بأن يقول: هذا

---

(53) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ، 254/54.

(54) بروتاغوراس: ولد سنة 485وتوفي سنة411 ق.م، وهو أشهر السوفطائيين في أبدرا قبل مولد دمقريطس بجيل من الزمان، كانت فكرته في العقوبة المثل بالمثل والقصاص بالقصاص، أحبه أفلاطون دون أتباعه، انظر: قصة الحَضَارَة، ديورانت ول، 7/312-313-314 بتصرف.

(55) انظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، ص 191، دار النهضة العربية، بيروت 1404هـ.

قولك وأنا أخالفك، وخلاف الرأي لا يفسد للود قضية، أهذا هو دين الله الذي انتصر به السلف أم هو دين الزنادقة؟(56).

إن هذه الدنيا يوجد بها الخير والشر، والإيمان والكفر، والهدى والضلالة، إلى قيام الساعة، فهل يمكن أن يكون ذلك كله صحيحاً وعلى حق؟ وهل نساوي بين هذه الأمور على أنها من الحق النسبي؟ كلا، فالحق المنزل من عند الله - تعالى -واحد، هو ما أنزله على الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- ، من التوحيد والطاعة والعبادة، والإيمان باليوم الآخر، ونحو ذلك من أصول الإيمان، فمن اتبع ما جاء به المرسلون فهو على الصراط المستقيم، ومن خالفهم فهو في الضلال المبين، قال تعالى مبينا أن ما أنزله هو الحق الذي لاشك فيه أبدا : **{ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}** (البقرة:2). فالقرآن حق كله، وصدق كله، فهو فيما أخبر به عن الماضي أو الحاضر أو المستقبل كله حق وصدق، ويستحيل استحالة قطعية لا تردد فيها أن يتعارض خبر القرآن مع الواقع، أو مع الماضي، أو مع ما يكتشفه العلم الحديث من حقائق ثابتة.

فنجزم ونقطع بلا تردد من منطلق إيماننا بالله العظيم أن كل ما أخبر به القرآن عن الأمم السابقة، من أخبار الأنبياء، وأخبار الأمم والدول، والقصص والأخبار في الواقع، وفي الكون، والفلك، والنجوم، والأرض، والسماء، والأرحام، والنفس البشرية... أنه صدق وحق قطعي لا تردد فيه.

فإخبار الله تعالى في القرآن صدق لا ريب فيه، وأحكامه في القرآن عدل لا ظلم فيها ؛ ولذلك يقول الله _ عز وجل_: **{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}**(الأنعام:115)، صدقًا في الأخبار: ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وعدلاً في الأحكام: خاصها وعامها، فرعها وأصلها، فهو الحق المطلق الذي لا شك فيه(57).

ويقول تعالى مبيناً لنا بأن دين الإسلام هو دين الحق والصواب **{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** (آل عمران:85).

وقال أيضاً:- **{وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ }** (آل عمران،20)

---

(56) انظر: المصدر السابق، الجزء و الصفحة.

(57) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ، 254/54.

فما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم _ أجمعين_ هو الحق المطلق، ولكن لا يعني هذا أن نسلب المخالفين حقوقهم، أو أن نعتدي عليهم، فالنبي (e) وصحابته الكرام، من المؤكد أنهم كانوا يعتقدون أنهم على الحق المطلق، ومع هذا لم يضروا أحدا في شيء بغير حق؛ لأنهم على الحق المطلق.

يقول الإمام الغزالي- رحمه الله - : " الحق: هو في مقابلة الباطل والأشياء قد تستبان بأضدادها وكل ما يُخبر عنه فإما:

أ- باطل مطلقا كالممتنع بذاته.

ب- وإما حق مطلقا مثل الواجب بذاته .

ج- وإما حق من وجه وباطل من وجه ، مثل: الممكن بذاته الواجب بغيره هو حق من وجه باطل من وجه.

فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل.

وهو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من هذا الوجه الذي يلي مفيد الوجود موجود فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل.

فلذلك قال تعالى **{كل شيء هالك إلا وجهه}** (القصص،88) وهو كذلك أزلا وأبدا ليس ذلك في حال دون حال ؛ لأن كل شيء سواه أزلا وأبدا من حيث ذاته لا يستحق الوجود ومن جهته يستحق فهو باطل بذاته حق بغيره

وعندئذٍ تعرف أن الحق المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته الذي منه يأخذ كل حق حقيقته"(58)، والقول بالممكن بذاته، والواجب بغيره هي ألفاظ متناقضة؛ فلا يكون الممكن بذاته، بل يستمد وجوده من غيره،وكذلك الواجب لا يمكن أن يكون بغيره، إذ هو غير مفتقر لغيره، وما احتاج لغيره فليس واجباً بحال من الأحوال.

---

(58) انظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ص 126، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة الأولى ، 1407 – 1987، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، 177/7، دار إحياء التراث العرب.

وسنذكر بعد قليل بعض أقوال العلماء المسلمين في السفسطائية ؛ ولكن وفي البداية لابد أن نعرف ما هي السفسطائية؟

يوضح الشيخ عبدالقادر بدران- رحمه الله - أن السفسطائية فرقٌ ثلاث :-

إحداهن: اللاأدرية؛ سموا بذلك ؛ لأنهم يقولون: لا نعرف ثبوت شيء من الموجودات ولا انتفاءه؛ بل نحن متوقفون في ذلك.

الثانية : تسمي العنادية نسبة إلى العناد؛ لأنهم عاندوا فقالوا: لا موجود أصلاً وعمدتهم ضرب المذاهب بعضها ببعض والقدح في كل مذهب بالإشكالات المتجهة عليه من غير أهله.

الثالثة : تسمى العندية نسبة إلى لفظ "عند" ؛ لأنهم يقولون أحكام الأشياء تابعة لاعتقادات الناس ، فكل من اعتقد شيئاً فهو في الحقيقة كما هو عنده وفي اعتقاده (59).

وقد رد ابن حزم - رحمه الله تعالى - على هذه الفرق الثلاثة، ولكن ما يهمنا هنا هي الفرقة العِندية التي يُقلدها دعاة النسبية اليوم؛ لذلك نذكر هنا رده على هذه الفرقة، قال- رحمه الله تعالى- : " ويقال لمن قال هي حق – أي الأشياء- عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل : إن الشيء لا يكون باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطل باعتقاد من اعتقد أنه باطل ، وإنما يكون الشيء حقاً بكونه موجوداً ثابتاً، سواءً اعتُقد أنه حق أو اعتُقِد أنه باطل، ولو كان غير هذا لكان معدوماً موجوداً في حال واحد في ذاته، وهذا عين المحال"(60).

وإذا أقروا بأن الأشياء حق عند من هي عنده حق، فمن جملة تلك الأشياء التي تُعتَقد أنها حق عند من يعتقد أن الأشياء حق، بطلانُ قولِ من قال إن الحقائق باطلة، وهم قد أقروا أن الأشياء حق عند من هي عنده حق، وبطلان قولهم من جملة تلك الأشياء، فقد أقروا بأن بطلان قولهم حق !! مع أن هذه الأقوال لا سبيل إلى أن يعتقدها ذو عقل ألبتة، إذ حسُّه يشهد بخلافها. وإنما يمكن أن يلجأ إليها بعض المُتَنَطِّعين - المتشددين في السؤال الذي يصعب حله - على سبيل الشغب(61).

---

(59) انظر: شرح روضة الناظر للشيخ عبدالقادر بدران الدمشقي، ص 246، 247، الطبعة القديمة، دار المعارف بالرياض، شرح المواقف للجرجاني ،ص 42،43، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ.

(60) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، 14/1، مكتبة الخانجي – القاهرة.

(61) انظر: المصدر السابق نفس الجزء ، والصفحة.

ورد كذلك عليهم ابن الجوزي – رحمه الله - قائلاً: " قال النوبختي: قد زعمت فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها؛ بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها، فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مراً، ويجده غيره حلواً قالوا: وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد حدوثه، واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً وهؤلاء من جنس السفسطائية؛ فيقال لهم: أقولكم صحيح؟ فسيقولون: هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا قلنا : دعواكم صحة قولكم مردودة ، وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ! ومن شهد على قوله بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه" (62).

وقال ابن قدامة – رحمه الله - رادًا على من نُقل عنه مثل هذا القول من علماء المسلمين: "وقول العنبري: كل مجتهد مصيب إن أراد أن ما اعتقده فهو على ما اعتقده، فمحال؛ إذ كيف يكون قدم العالم وحدوثه حقاً، وتصديق الرسول وتكذيبه، ووجود الشيء ونفيه، وهذه أمور ذاتية لا تتبع الاعتقاد؛ بل الاعتقاد يتبعها فهذا شرمن مذهب الجاحظ؛ بل شر من مذهب السفسطائية؛ فإنهم نفوا حقائق الأشياء، وهذا أثبتها وجعلها تابعة للمعتقدات"(63).

وقال - أيضًا -: "قال بعض أهل العلم: هذا المذهب أوله سفسطة، وآخره زندقة؛ لأنه في الابتداء يجعل الشيء ونقيضه حقاً، وبالآخرة يخير المجتهدين بين النقيضين عند تعارض الدليلين، ويختار من المذاهب ما يروق لهواه " (64) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: "حكي عن بعض السفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات، ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد تارة ويخالفها أخرى؛ بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد، وجعل الحقائق تابعة للعقائد، وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل"(65) .

---

(62) تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، 54/1، تحقيق : د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، 1405ه – 1985م.

(63) روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، ص 363، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد ، جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الثانية ، 1399 هـ.

(64) المصدر السابق ، ص 369.

(65) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، 135/19، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م

وهذه الردود عن أئمة الأمة وعلمائها رحمهم الله ردود مفحمة وبليغة لمن له مسحة من عقل، إذ لا يعقل أن تكون الأشياء ليس لها حقائق.

المبحث الرابع: الأخلاق بين النسبي والمطلق

المطلب الأول: الأخلاق بين النسبي والمطلق عند المفكرين الغربيين:

وإذا نظرنا إلى مصدر الأخلاق عند المفكرين الغربيين نجده يختلف عمَّا هو عندنا نحن المسلمين؛ بل يختلف حتى فيما بينهم من واحد لآخر، فهم اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى بأن مصدر الأخلاق من خارج الإنسان، وهؤلاء ينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول: يقول بأن مصدر الأخلاق سلطة عليا إلهية.

والفريق الثاني: يرى بأن مصدر الأخلاق هو المجتمع(66).

الاتجاه الثاني: يرى أن مصدر الأخلاق هو الإنسان نفسه، و يختلف هؤلاء فيما بينهم إلي ثلاثة أقسام:

الأول : يرى أن مصدر القيم والأخلاق هو اللذة والمنفعة.

والثاني : يرى أن مصدر الأخلاق هو العقل.

والثالث : ويرى أن الضمير هو مصدر الأخلاق (67).

فأما الفريق الأول: من الاتجاه الأول: القائل بأن مصدر الأخلاق سلطة عليا إلهية:

فالذي يمثل هذا الاتجاه هم المتدينون الذين يرون بأن الأخلاق مقيدة ،ومصدرها الأديان السماوية فقد ذهب فريق من الحكماء والفلاسفة إلي أن مصدر الأخلاق ليس هو الإنسان ، إنما هو سلطة خارج الإنسان ، وهو الدين السماوي ، فهم يعتبرون أن الوحي أو النقل هو مصدر التشريع والإلزام بالقواعد التشريعية والأخلاقية وليس للإنسان دخل في ذلك وأطلق علي هذا المذهب (مذهب النقليين) ولقد نادي بهذا الاتجاه حكماء وفلاسفة ورجال الدين الكنسي .

ويقول "أندريه كرسون" عن هذا الرأي عاداً إياه محل اتفاق في الأديان : " سواء نظرنا إلي الشريعة الموسوية (يعني شريعة موسى عليه وعلي نبينا السلام) أم إلي الشريعة المسيحية فإننا نجد مبدأ لا نزاع فيه هو أن الإنسان لا شأن له باكتشاف القواعد الأخلاقية "(68).

---

(66)انظر: الأخلاق النظرية ، د. عبد الرحمن بدوي، ص 94 ، وكالة مطبوعات الكويت .

(67)انظر: الاتجاه الأخلاقي في الاسلام ، لمقداد يلجن، ص 219، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر.

(68)انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص180، الهيئة العامة للشئون الأميرية.

أما الفريق الثاني : القائل بأن المجتمع هو مصدر الأخلاق:

فيرون أن العرف الاجتماعي يفرض علي الإنسان ما يستحسنه من الخير وما يستقبحه من الشر فالذي يحدد الأخلاق عندهم هو عرف المجتمع ، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي الفيلسوف الفرنسي "أوجست كونت" و"إميل دوركايم" ، "وليفي بريل".

ومن القائلين بنسبية الأخلاق الشيوعيون الذين يرون أن التغيرات في المجتمعات والسلوك البشري كلها نسبية ومتغيرة وأنه انعكاس لتطور الآلة ووسائل الإنتاج(69).

وقد اعتبر هذا الفريق أنه لا يمكن قيام أخلاق مطلقه ثابتة، والقول بذلك يعتبر من الخرافة يقول "أوجست كونت" حول ذلك : " إن موقف الإنسان إزاء الظواهر الأخلاقية لابد أن يتغير من مرحلة إلي أخرى، ومادامت الإنسانية في تقدم مستمر فإن هذه القوانين لابد أن تتغير أولاً، ثم لا بد لها أن تساير التطور، ويكون نصيبها التطور المستمر، والإصلاح المطَّرد وحيث إن وجود الجنس الإنساني يعتمد إلي درجة كبيرة علي عدد كبير جداً من الظروف الطبيعية والفلكية والبيولوجية والاجتماعية، وإذا كانت هذه الظروف تتغير باستمرار أيضاً، ولا تبقي علي وتيرة واحدة ، فلا يمكن أن تستغرب... أن أخلاقنا يجب أن تتغير باستمرار أيضاً فهي إذاً نسبية مع مركزنا ومع تكويننا "(70).

ويقوم هؤلاء برفض واجبات وقواعد العقل العلمي الخالص، ويدعون إلي قبول الواجب الخلقي حين يصدر عن المجتمع، علي اعتبار أن المجتمع هو الكائن الأخلاقي الأعظم الذي تصدر عنه الحياة الأخلاقية، فالمجتمع هو مصدر الأخلاق، وهو فقط الذي يحق له أن يحكم علي القيمة الأخلاقية بالخير أو الشر.

ولقد أخذ دوركايم يدلل علي ذلك بقوله : إن الأمور الأخلاقية لها قيمة لا تقاس بسائر القيم الإنسانية، وآية ذلك أننا نضحي بنفوسنا من أجلها ، مما يدل علي أنها لا نظير لها ، ولكي تكون الأمور الأخلاقية منقطعة النظير هكذا، فلابد أن تكون العواطف التي تعيِّن قيمتها لها نفس الطابع -أي منقطعة النظير - ثم يدلل علي رأيه بقوله "والعواطف الجماعية هي التي يتوفر فيها هذا الشرط،

---

(69) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف د. مانع الجهني 2/920-921 دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ،الرياض ،1999م

(70) أوجست كونت، د. مصطفي الخشاب، ص ، 126مطبعة البيان العربي، مؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع .

فإنها تخاطب ضمائرنا بلهجة مختلفة تماماً عن لهجة العواطف الفردية المحضة : إنها تخاطبنا بصوت عال وبسبب أصلها كان لها سلطاناً خاصاً وقوة خاصة (71) .

وقد اعتبر هذا الفريق أن المصدر الوحيد لمعرفة الأخلاق هو الحس والتجربة وما عدا ذلك فلا يعتبر مصدراً حقيقياً لها.

وقام هؤلاء بوضع النسبي مكان المطلق في الأخلاق، وهذا الأمر يعتبر نتيجة حتمية لسببين:

الأول: قولهم بنسبية المعرفة والاستشهاد عليها بمراحل العقل الثلاثة التي تحدث بها اوجست كونت وهى : أن التفكير الإنساني أو العقل الإنساني مر بثلاث أدوار - الحالة اللاهوتية، الحالة الميتافيزيقية، والحالة العقلية الواقعية-(72) لتفسير الظواهر الكونية، كان كلامه كله من باب الظن والخيال.

والثاني : **جعلهم المجتمع هو أساس الأخلاق** مما يؤدي للقول بنسبية الأخلاق وعدم إطلاقها وهذه نتيجة حتمية، فما دام المجتمع هو مصدر إنشاء القواعد فليس من المعقول أن تكون هذه القواعد متشابهة في جميع المجتمعات، حيث إن المجتمعات نفسها الصادر عنها الحكم وصاحبة المصدرية تختلف من حيث الزمان والمكان، وهكذا تختلف الأخلاق حسب البناء الاجتماعي من مجتمع لآخر كل له أخلاقه الخاصة التي حددتها الظروف المعيشية، ولذلك رفض كونت المطلقات التي نادى بها غيره، واعتبرها فكرة زائفة لا يقبلها العالم الوضعي الذى يقتصر على النسبية ؛ لأن المطلق لا وجود له في هذا العالم حسب رأيه. (73).

وبهذا نكون قد انتهينا من الاتجاه الأول عند المفكرين الغربيين.

أما الاتجاه الثاني : الذي يرى أن مصدر الأخلاق هو الإنسان نفسه، فسوف نتحدث عن أقسامه فيما يلي:

---

(71) انظر: الأخلاق النظرية ، ص 97. بتصرف

(72) انظر تفصيل ذلك في كتاب: تيارات ومذاهب في الفكر الغربي المعاصر، أ. د. محمود يوسف الشوبكي، ص152-157، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

(73) انظر: فلسفة أوجست كونت وليفي بريل، ترجمة محمود قاسم ، السيد محمد بدوي ص301 ، 302، دار الكتب العلمية . علم الاجتماع الأخلاقي، تأليف د. حسين عبد الحميد رشوان، ص189، المكتب العلمي.

القسم الأول : القائلون بأن مصدر الأخلاق هو اللذة والمنفعة:

وهذا القسم له جذور تاريخية تمتد إلى قرابة العشرين قرناً من الزمن ، فمذهب اللذة ظهر في العصور القديمة وأول من دعا إليه هو أرسطيفوس القوربنائى(74) ثم جاء من بعده بعقدين من الزمان تقريباً أبيقور(75).

وقد جعل أبيقور مصدر الأخلاق هو اللذة وذلك حين قال " نحن نجعل من اللذة مبدأ السعادة وغايتها... وإليها نسعي دون انقطاع ، وفي كل شيء العاطفة هي القاعدة التي تستخدم في قياس الخير "(76) فعمل الأخلاق عنده تعليم بني الإنسان فن الحصول علي اللذة وتحاشى الألم (77)

وقد سار على نهجهم في العصر الحديث توماس هوبز(78) الذي يرى أن اللذة هي مصدر الأخلاق فالغريزة "الأثرة " هي أقوي الغرائز الفطرية ومن ثم ينبغي أن تكون أساساً يقوم عليه الأخلاق (79)

---

(74) أرسطيفوس القوربنائى فيلسوف يوناني مشهور عاصر أفلاطون وسقراط ولد في مدينة القيروان، أسس المدرسة القوربنائية ، ومذهب اللذة الذي مفاده ، أنه ينبغي أن يكون هدف الانسان من أعماله حصول اللذات الحقيقية الراهنة، لا مجرد تجنب الآلام أما الغرض من الفضائل لديه فليس السعادة الأبدية لأن هذه الأخيرة تحتوي علي أنواع اللذات والشهوات لذلك فالحاضر هو مقياس السعادة انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية 71/1.

(75) أبيفور تعلم الفلسفة، ثم انتقل إلى أثينا وأنشأ مدرسة عظيمة الشهرة عرفت باسم حديقة أبيقور ، فزاول التعليم فيها حوالي ست و ثلاثين سنة، حتي وفاته سنة 271ق .م ، والأصل عنده هو وتلاميذه أن أصل المعرفة هو الحس، ومقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم، انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية، 71/1.

(73) الأخلاق النظرية ، ص 273.

(77) انظر: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندرية كرسون، ص 85 ، 95 ، ترجمة وتعليق: د . عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، دار إحياء الكتب العربية ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم، ص221 ، طبعة: دار العلم للملايين.

(78) توماس هوبز فيلسوف إنجليزي، التزم بالمذهب الحسي الأناني المنفعة الفردية ، درس في جامعة أوكسفورد وتخرج منها ليصر مؤدباً لأحد أبناء عائلة كافنديش، سافر لفترة إلي إيطاليا ثم إلي فرنسا ، وعاد إلي بلاده والتي ما لبث أن غادرها سنة 1640 م بسبب خوفه من المشاكل السياسية ،و استقر في باريس وعاد مرة اخرى إلي بلده وفي عام 1667 م ، حيث صدر قانون يدين الإلحاد ويحكم ضمناً علي كتاب هوبز (التنين) فحماه الملك علي ألا يعود إلي النشر مرة اخرى في مؤلف جديد، انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية، 549/2.

(79) انظر: تاريخ الأخلاق، د. محمد يوسف موسي، ص 252، مكتبة محمد علي صبح، بتصرف.

وتبعه الفيلسوف الانجليزي جرمي بنتام(80) الذي يرى أن علم الأخلاق يقوم علي أساس الحساب والموازنة بين اللذات، فاللذة إنما تفضل علي غيرها إذا فاقت غيرها وفقاً للمعايير السبعة التي وضعها وهي:- (الشدة، والدوام، واليقينية ، والقرب، ومدي خصوصيتها ، ومدي نقائها، مداها - يعني عدد الأشخاص الذين شملتهم هذه اللذة) (81)

وقد صبغ الأخلاق بالصبغة التجريبية فكل ما لا يقع تحت الحس والشعور لا يعتد به في نظره ؛ ولعل السبب في ذلك هو التأثير السلبي الذي تركته الكنيسة لموقفها من العلم والعلماء فكان رد الفعل العكسي والذي صنعه بنتام وهو إبعاد الأخلاق عن كل ما هو ديني خشية أن يوصف منهجه بالميتافيزيقية أو اللاهوتية . (82)

وقد قام ديفيد هيوم(83) لهدم أصول الأخلاق بالقول بأن سلوك الإنسان عمل آلي محض، وزعم أن الدافع الأساسي لسلوك الإنسان هو اللذة والألم فقط (84).

وزعمهم هذا غير منضبط ؛ لأنهم لم يحددوا ما المراد باللذة هل هي لذة الشهوة الجنسية أم لذة الطعام والشراب أم اللذة النفسية أم اللذة العقلية... أم ماذا؟

---

(80)جرمي بنتام فيلسوف إنجليزي اعتنق المذهب النفعي، ولد في لندن سنة 1748 توفي سنة 1832. له كتاب مدخل إلى مبادئ الأخلاق والتشريع، وسافر إلي فرنسا، ووضع مشروعاً لسجن نموذجي (1803) فنال مكافئة علي كتاباته حول الإرادة الكولنيالية والإصلاحات التي يتعين إجراؤها في إدارة السجون ودعا إلي الإصلاح الدستوري وأسس حزب مبني على المذهب النفعي فمذهبه أن الناس يتبعون اللذة ويجتنبون الألم بالطبع إلا أنها كانت مشهورة بالنفعية العامة انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية، 245,246/1.

(81) انظر: الفلسفة وقضايا العصر، د. أحمد حمدي محمود ص 166 إلي ص 177. جمعها: جون ربور ميلتون جولد بينجر، مطبوعات الهيئة المصرة العامة للكتاب بتصرف شديد، الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي من ص 247 : ص 250 وكالة مطبوعات الكويت، بتصرف.

(82)انظر: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، د/ توفيق الطويل، ص 196 ، 198، مكتبة المعارف الاسكندرية الطـبعة الأولى.

(83) ديفيد هيوم: هو مؤسس الوضعية في علم الفلسفة، وهي المذاهب التجريبية التي لا تعترف إلا بالواقع المحسوس، فهي ترد المعرفة إلي التجربة(استخدم المنهج التجريبي المحسوس) وترجع تسميته هذا المذهب إلي (أوجست كونت) وقد مهد لهذا الاتجاه في الفلسفة ديفيد هيوم (1711 - 1776)، نظر: المدخل إلي الفكر الفلسفي ص 16 يوزيف بوخينسكي ترجمة: د. محمود حمدي زقزوق .- دار الفكر العربي سنة 1416هـ ، 1996 م

(84) انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص430، دار القلم دمشق .

وما قولهم بالشواذ الذين لا يشعرون باللذة إلا في تعذيب الآخرين، والسيطرة على مقدراتهم ... إلى غير ذلك

القسم الثاني : القائلون بأن العقل مصدر الأخلاق:

لقد ظهر في الفكر الغربي رأي يقول بأن العقل هو أساس الأخلاق ومصدرها في المجتمع ، وهؤلاء يرفضون أن تكون الأخلاق مرهونة ببعض الأمور العملية المتعلقة بالنتائج أو الآثار .

وممن قالوا أن مصدر الأخلاق هو العقل، المفكر الألماني عموائيل كانت (85) حيث يقول : " لما كان العلم كلياً وضرورياً ؛ أي صادراً عن العقل، لزم أن الفلسفة الخلقية لا تقوم علي التجربة الظاهرة ولا علي حس باطن؛ - بل علي العقل وحده - فإن العقل هو الذي يمدنا بمعني الواجب الذي هو الركن الركين في الأخلاق" (86).

ويقول أيضا: " إن الله مادامت حقيقة تظل مجهولة لنا فلا يمكن أن نتخذه أساساً للأخلاق"(87).

ويري كانت أن الطابع الأخلاقي لا يمكن الاحتفاظ به إلا إذا جعلناها غاية في ذاتها وليست أبداً وسيلة ناتجة عن غاية حتى لو برهن السلوك العملي الأخلاقي على أنه مفيد وعملي.

وعنده كذلك أن السلوك لا يكون أخلاقياً إلا إذا انبعث عن الواجب أو الاحترام للقانون الأخلاقي في ذاته وينتج عن ذلك أن الخضوع للتقاليد، أو العادات، أو تجارب الماضي، أو الشريعة الإلهية، أو للتبعية لسلطة إلهية أو بشرية ، كل ذلك مهما بلغ في السمو لا يضفي على السلوك صبغة أخلاقية(88).

---

(85) عموئل كانت ولد عام (1724) في المدينة البروسية كونربرج والتي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي، والتي تغير اسمها إلى بلجراد وامضي حياته في هذه المدينة، ينحدر من أسرة فقيرة تؤمن بالعقيدة النقوبية المتشددة التي تمثل نزعة أصولية غارقة في الروح الجرمانية، ثم التحق بالمدرسة الثانوية ثم أتم دراسته في جامعة(كونجربرج) وعمل بها محاضراً وهو في الحادية والثلاثين ، ظل بها إلي أن تقاعد بسبب المرض الذي أصابه سنه 1799م ، ومات في الثاني عشر من شباط1804م. انظر: موسوعة الاعلام الفلسفية 244/2.

(86) تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص214.

(87)الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، السيد محمد بدوي، ص 96 ، دار المعرفة ، سنة 1995م.

(88)انظر: فلسفة الحضارة، البيرت اشفتير، ص226 ، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي ، مراجعه: زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية .

ومما سبق يمكننا القول بأن "كانت" قرر أن الأخلاق ليست في حاجة إلي القول بوجود كائن آخر يعلو علي الإنسان حتي يكون في وسع الإنسان أن يتعرف علي واجباته.

وهذا يعني أن الإنسانية ليست في حاجة إلي الدين من أجل قيام الأخلاق؛ بل لابد أن تقوم بذاتها بمقتضى طبيعة العقل نفسه فيقول هو عن ذلك: "أما معاني الله والنفس والدين والحرية والخلود والتي كانت الفلسفة السلفية تقيم الأخلاق عليها ، فلا سبيل إلي اعتبارها أساساً لها - الأخلاق - بعد أن نقد العقل النظر باستحالة العلم بها على أنه يمكن الإيمان بها إذا أدى بنا إليها تحليل المعاني الأخلاقية نفسها فهنا تبنى الميتافيزيقيا علي الأخلاق بدلاً من أن تبنى الأخلاق علي الميتافيزيقيا"(89).

إذا كان العقل هو مصدر الأخلاق والعقول مختلفة ومتباينة تبايناً كبيراً فأي عقل نعتمده للحكم على الأخلاق بأنها حق أم باطل، أهو عقل الشرقي أم الغربي، العقل العربي أم العقل الأعجمي، عقل المسلم أم النصراني

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

القسم الثالث: القائلين بأن الضمير هو مصدر الأخلاق:

وبعد الحديث عن القسمين الأولين : من القائلين بأن مصدر الأخلاق هو الإنسان ذاته وليس سلطة خارج الإنسان، نأتي إلي القسم الثالث من القائلين بأن الإنسان هو مصدر الإلزام، وجعلوا مصدر الإلزام فيه هو الضمير .

فلقد ذهب فريق من العلماء والفلاسفة الغربين مؤيدين بأن مصدر الأخلاق هو الضمير وسوف أتناول الحديث عن هذا المذهب كما يلي:

لم يعثر على استعمال كلمة ضمير بمعنى الشعور المميز بين الخير والشر في كتب اللغة العربية، ولا في كتب الأدب، ولا في كتب الفلاسفة المسلمين، بل استعمال هؤلاء لكلمة الضمير هو دائماً بالمعنى اللغوي العادي؛ أي السر داخل الخاطر ،وما هو مضمر في النفس

فمصطلح الضمير الذي جعله فلاسفة الغرب مصدراً للأخلاق لم يكن معرفاً لدى فلاسفة المسلمين وعلماء اللغة حتي عهد قريب .

ويذكر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود عن عدم وجود المصطلح عند المسلمين بقوله: " إذا بحثنا في معاجم اللغة العربية عن معني كلمة " الضمير " فإننا لا نجد من بين معانيها المعني الأخلاقي

(89) تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص214.

الذي يفهم من هذه الكلمة في العصر الحاضر، ونستعملها فيه ونطلقها عليه ، وهي لم ترد بهذا المعني في القرآن أو الحديث أو في الشعر العربي القديم.

إنه معني حديث أخذناه عن الغرب في العصر الحديث، وقد استعمله الغرب كثيراً، وأشاد به حينما أراد أن يضع للأخلاق أساساً ومقياساً، منفصلاً عن الدين، وكان ذلك على الخصوص حينما أراد الغرب أن يتخلص من سيطرة الكنيسة، وأن يخرج علي سلطانها، ويثور على قواعدها وأوضاعها، ويفصل بين الدين والدولة، وكان الدين إذ ذاك أساساً، ومقياساً للأخلاق، ولا مناص ــ إذا أريد التخلص من الدين ــ من البحث عن أساس وقياس للأخلاق، فلابد لاستقرار المجتمع وأمنه وهدوئه من أن تستقر الأخلاق وتقوم علي دعامة قوية، وإلا انهار المجتمع، وناله الفساد من جميع أقطاره، وتلفت زعماء الثورة يميناً وشمالاً ــ لعلهم يجدون ــ ما يقوم مقام الدين وقد تحللوا منه بالنسبة للأخلاق ــ فوجدوا ــ كسراب يتألق ــ الضمير فتشبثوا به وأثنواْ عليه، ورفعوا من شأنه، واعتبروه أساساً ومقياساً للأخلاق" (90)

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن استعمال مصطلح " الضمير " لم يكن معروفاً لدي علماء المسلمين بالمعنى الفلسفي الذي يقصده الغرب الآن وأن هذا المصطلح وليد حاجة الغرب إليه بعد الثورة الفرنسية ــ علي ما ذهب إلية صاحب القول السابق المرحوم عبد الحليم محمود .

ويلاحظ عدم اتفاق فلاسفة الغرب علي تعريف محدد للضمير، وإنما ذهب أصحاب كل اتجاه فلسفي إلي تعريف الضمير بما يخدم اتجاههم هذا، حتى القائلين بأن الضمير مصدر الأخلاق لم يكن تعريفهم للضمير على المستوي الذي يقتنع به غير القائلين بمصدريته ومسئوليته عن التوجيه.

ولكن علي كل حال نذكر بعض هذه التعريفات التي ذكروها :

يعرف القديس توما الاكويني الضمير بقوله: " الحكم الصادر من العقل " (91).

ويعرفه بعض الباحثين الغربيين: " بأنه معرفة الخير والشر" (92).

ويعرفه بعضهم الآخر بقوله: الضمير هو ملكة الإقرار والاستهجان (93).

---

(90) انظر: الإسلام والعقل ، عبد الحليم محمود، صـــ 63 ، 64، دار الكتب الحديثة القاهرة.

(91) انظر: الاخلاق النظرية ، عبد الرحمن بدوي ص59.

(92) انظر: المصدر السابق، 56.

(93) انظر: نفس المصدر58.

ومن خلال التعريفات السابقة ندرك أن الضمير عبارة عن عاملين أساسيين أسهما في تكوين ما يسمي بمصطلح الضمير الأخلاقي :

العامل الأول : مجموعة من الإسهامات العقلية والنفسية والاجتماعية سواء أكانت هذه الإسهامات فطرية كما يقول بعض فلاسفة الغرب، أم مكتسبة كما يقول بعضهم الآخر، إلا أن هذه الإسهامات في حقيقتها هي التي كونت ما يسمي بمصطلح الضمير الأخلاقي .

العامل الثاني : المكون للضمير والمشكل له ملكة التميز بين الخير والشر(94).

فإذا اختلفوا في تعريف الضمير وتحديده، ومعرفة كنهه فكيف يكون مصدراً للأخلاق؟.

المطلب الثاني: الأخلاق بين النسبي والمطلق في الإسلام:

من المعلوم أن قاعدة الأخلاق الأساسية في الإسلام، أن الحق واحد والخير واحد، وأنهما لا يختلفان، ولا يتعددان مع اختلاف الزمان والمكان.

فالرسول (e) "هو الميزان الراجح الذي على أخلاقه وأقواله وأعماله توزن الأخلاق والأقوال والأعمال"(95).

فالأخلاق هي التي تميز بين الحق والباطل والخير والشر، وسيظل الخير هو الخير والشر هو الشر على اختلاف الأزمنة والبيئات ولن يتحول يوماً إلى عكسه.

ولقد دعانا الإسلام إلى أخلاقية الحياة وأقام الالتزام الأخلاقي في جميع الأعمال، والتصرفات وجعله جزءاً من الدين، فالدين في الإسلام جامع بين العقيدة والشريعة والأخلاق وهي لا تنفصل ولا تتجزأ(96).

نقول هذا لنكون في يقظة من المذاهب التي تقول بأن الأخلاق نسبية، لا ليست الأخلاق ولكنها التقاليد، إن الأخلاق من عند الله والتقاليد من صنع المجتمع نفسه؛ فالتقاليد متغيرة نعم، أما الأخلاق فلا، وقد يظن دعاة الفكر المادي أن الأخلاق كالدين نبعت من الأرض ولم تنزل من السماء ولذلك فهم

---

(94) الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع د / السيد محمد بدوي الاستاذ / بجامعة الاسكندرية، من ص 7 2 1 إلي ص 8 4 1، والأخلاق النظرية، عبد الرحمن بدوي، من ص 0 6 إلي ص 76ز

(95) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، 4/1 ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت ، 1973.

(96)انظر: الوقت وأهميته في حياة المسلم، جمعه وأعده، الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود 90/3.

يرونها متغيرة أما نحن: المسلمون فنفرق بين الأخلاق والتقاليد ونرى أن الأخلاق ثابتة كثبات القيم الأساسية وأن التقاليد متغيرة ويجب أن تتغير مع اختلاف العصور والهيئات(97).

"والقاعدة أن هناك ثوابت وهناك متغيرات: والتطور والتغير والتحول إنما يشمل المتغيرات، أما الثوابت فشأنها شأن الأفلاك والمدارات التي تتحرك فيها الكواكب فهي ثابتة. ذلك في الإسلام أفلاك ثابتة وقيم لا يمكن أن تتغير ولكن ما في داخلها يتغير ويتحرك"(98).

فإن الأخلاق هي التي تحدد مسار سلوك الإنسان، فتحكم على أفعاله بأنها خير أو شر، وفي مجتمعنا المسلم انتشرت الكثير من الآراء الفكرية الغريبة عن ثقافتنا ومعتقداتنا الإسلامية، نتيجة للغزو الفكري، ومن هذه الأفكار أن يرى بعض الناس بأن الإنسان العاقل هو الذي ينتهي إلى نسبية الأخلاق والأديان، فإن ثقافة العولمة غزت كثيراً من عقول أبناء المسلمين تعتمد أساساً على "فكرة النسبية" بمعنى نسبية الأخلاق، والقيم، والعقيدة.

و يجب أن يكون واضحاً في غاية الوضوح : أن المطلق مطلق ولكن الفهم البشري والتفسير البشري لأي جانب من جوانب المطلق هو فهم نسبي(99) فهل يمكن أن ينطبق هذا أيضا على الأخلاق؟

فقد تجد من يعتقد بأن الأخلاق نسبية، وليس لها وجود في حياة البشر، وإنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية، وهي من صنع العقل الجماعي، وأنها تتغير على الدوام وحسب الظروف(100).

وإن من يدعون الحداثة في مجتمعنا المسلم، للأسف أصبحوا يسخرون من الأخلاق الإسلامية أيضاً؛ بل جحدوا وجود الأخلاق تحت دعاوى نسبية الأخلاق، ومزاعم أنها من عوامل الكبت والتخلف؛ ولذلك تبنوا الدعوة إلى الانحلال والفوضى الخلقية ومارسوا ذلك فعلاً في سلوكهم واعترفوا

---

(97)انظر: المصدر السابق، الجزء ، الصفحة.

(98) نفس المصدر.

(99) أنظر: تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها دعوة لتشخيص الموروث المجتمعي العربي وإعادة تأسيس الثقافة العربيّة لعصر تنوير جديد، د. محمد جابر الأنصاري، ص 83، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1992 م .

(100) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ،جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود ،311/21، من على شاملة أصول الدين، الإصدار الثالث ، عام 2008م.

به ، واستعاروا مذاهب وسلوكيات الغرب وسعوا في ترويجها قولاً وعملاً ، ومن ذلك : جعلهم الإباحية الجنسية أساس التحرر السياسي والاجتماعي، واعتبارهم المرأة مجرد جسد ومستودع للشهوات الجنسية، وإشادتهم بالرذائل الخلقية ودعوتهم إليها وممارستهم لها ، مع عداوتهم وذمهم للأخلاق الفاضلة، ودعوتهم للإباحية الجنسية والإغراق في وصف الأعضاء الجنسية وأعمال الجنس والحشيش والمخدرات والخمر والدعارة(101).

وإذا كانت الأخلاق نسبية فهل يمكن أن يأتي زمن يصبح فيه الصدق رذيلة أو الشهامة شر أو الشجاعة جبن أو أن العفة فجور؟ كلا وألف كلا.

ومن الأمثلة على نسبية الأخلاق مثلا، مسألة الشواذ، فنحن المسلمين نجِّرم ونحرِّم ذلك، ولكن هناك في العالم من يحل ذلك، ويسن التشريعات في أوروبا التي تجيز زواج الشواذ، وتبني الأطفال، وحفظ حقوقهم في الميراث، وذهبت إلى ذلك كنائس غربية(102).

مما سبق نرى بأن الأخلاق عند الغرب نسبية، حيث يختلف مصدرها من مذهب لآخر؛ بل من مفكر لآخر، وهذا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، فالقول بنسبية الأخلاق يؤدي إلي نسف الأخلاق من جذورها، ونشر الإباحية والخلاعة والسفور والانحطاط، وذلك ما هو واقع فعليا في المجتمع الغربي حالياً .

وأيضاً القول بنسبية الأخلاق يتضمن القول بعدم قبول ما جاءت به الرسل من القوانين الخالدة السابقة.

وكذلك عدم احترام المصلحين القدوات الموجودة فينا، وفي ذلك مخالفة لصريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعمل الأمة الإسلامية قال تعالى: **{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ}**(الأنعام:90). وقال تعالى:**[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا]** (الأحزاب:21)

وأسأل الله أن يهدي المسلمين لما فيه صلاح دينهم ودنياهم .

---

(101) انظر: المصدر السابق، 262/33، نقلا عن نتائج رسالة الدكتوراه، للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي، بعنوان: الانحرافُ العقديُّ في أدبِ الحداثةِ وفكرها ... دراسةٌ نقديةٌ شرعيةٌ.

(102) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، 84/18.

الخاتمة:-

وفي الختام أحمد الله وأشكره علي ما يسر ووفق، و أصلي علي خاتم رسله وأنبيائه ، وعلى صحابته وآله ... وبعد

فقد خلصت إلى النتائج التالية:-

1) أن النسبي والمطلق هما أمران متناقضان؛ فما كان مطلقاً لا يكون نسبياً، وما كان نسبياً لا يكون مطلقاً.
2) لقد اتخذ مفكروا الغرب من الدين والغيب بأنه نسبي، وأن ما جاء به الدين لا يعدو أن يكون آراءً تحتمل الخطأ والصواب؛ بل غالبهم رد الدين بحجج واهية.
3) يعد السوفسطائيون أول من قال بنسبية الحق؛ وبذلك وقعوا في التناقض ورفضوا الحقائق.
4) إن قول مفكري وفلاسفة الغرب بنسبية الأخلاق مضاد لمعتقدات الكنيسة ، وهدم للأسس والقواعد التي قامت عليها.
5) يترتب على القول بنسبية الأخلاق، القضاء على القيم والمثل والأخلاق، وفيه رد للإنسان إلى الإباحية والانحلال، والشذوذ والانحطاط إلى السلوك الحيواني البهيمي.

التوصيات:-

1) أوصي العلماء ببيان مواقف مفكري الغرب وبيان زيفها وتفاهتها وتناقضها، والرد عليها.
2) كما أوصي بالعمل الجاد لإعادة ثقة المسلمين بدينهم من خلال بيان حقائق هذا الدين.

فهرس المصادر والمراجع:-

- القرآن الكريم
1) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، لمقداد يلجن، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر.
2) الأخلاق النظرية ، تأليف د. عبد الرحمن بدوي، نشر: وكالة مطبوعات الكويت .
3) الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع ، السيد محمد بدوي، دار المعرفة ، سنة 1995م.
4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت ، 1973.
5) الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر، للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، دار الاعتصام، طبعة دار العلوم، القاهرة.

6) الإنسان والأديان، لمحمد كمال جعفر، نقلاً عن الملتقى العلمي للعقيدة والمذاهب المعاصرة، كتاب الكتروني.
7) أوجست كونت، د. مصطفي الخشاب، مطبعة البيان العربي، مؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع .
8) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .
9) تاريخ الأخلاق، د. محمد يوسف موسي، مكتبة محمد علي صبح.
10)تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم، طبعة: دار العلم للملايين.
11)تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها دعوة لتشخيص الموروث المجتمعي العربي وإعادة تأسيس الثقافة العربيّة لعصر تنوير جديد، الدكتور : محمد جابر الأنصاري، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1992 م .
12)تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندل، ترجمة: جورج طعمه ، مراجعة: برهان الرجاني، تقديم: محمد حسين هيكل، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدون رقم طبعه.
13)تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1405ه – 1985م.
14)التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى1410.
15)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العرب.
16)روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية، 1399 هـ.
17)شرح المواقف للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ.
18)شرح روضة الناظر للشيخ عبد القادر بدران الدمشقي، طبعة القديمة، دار المعارف بالرياض.
19)الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس، المكتبة السلفية، القاهرة، سنة 1328ه.
20)عالم الإسلام المعاصر من مجموعه مقدمات العلوم والمناهج، أنور الجندي، دار الأنصار.

21)علم الاجتماع الأخلاقي، د. حسين عبد الحميد رشوان، المكتب العلمي.
22)العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل يوثر ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
23)الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، مكتبة الخانجي – القاهرة.
24)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، مكتبة وهبة.
25)فلسفة الحضارة، البيرت اشفتير، ، ترجمة:د. عبد الرحمن بدوي، مراجعه: زكي نجيب محمود، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية .
26)الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل، مكتبة المعارف الاسكندرية الطبعة الأولى.
27)فلسفة أوجست كونت وليفي بريل، ترجمة: محمود قاسم ، السيد محمد بدوي، دار الكتب العلمية .
28)الفلسفة وقضايا العصر، د. أحمد حمدي محمود، جمعها: جون ربور، ميلتون جولد بينجر ، مطبوعات الهيئة المصرة العامة للكتاب .
29)القانون الجنائي ، د. علي راشد ، طبعة دار النهضة ، الطبعة الثانية سنة 1974.
30)قضايا معاصرة في ضوء الإسلام ، حلمي عبد المنعم صابر، دار عالم الكتب.
31)كواشف زيوف ، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق .
32)مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.
33)مدخل الفكر الفلسفي، جوزيف بوخي نسكي، ترجمة د. محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، سنة 1416هـ ، 1996 م.
34)المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ، أندرية كرسون، ترجمة وتعليق: د . عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكري، دار إحياء الكتب العربية .
35)المعجم الفلسفي، د. مراد وهبة، الطبعة الثالثة، سنة 1979م .
36)المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار،تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

37)المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، الطبعة الأولى، 1407 – 1987.
38)ملاك الحقيقة المطلقة ،د. مراد وهبة، طبعة خاصة تصدرها دار قباء ضمن مشروع مكتبة الأسرة، 1999م.
39)الممنوع والممتنع في نقد الذات المفكرة ، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1995.
40)مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار النهضة العربية، بيروت .
41)موسوعة الأعلام الفلسفية، تأليف زوني ايلي ألفا، مراجعة: د. جورج نخل ، دار الكتب العلمية بيروت.
42)موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ،جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود ، من على شاملة أصول الدين، الإصدار الثالث ، عام 2008م.
43)الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف : محمد شفيق غربال، دار الشعب، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.
44)الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، بإشراف د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ،الرياض ،1999م.
45)موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة ، الطبعة الأولى 1999م.
46)نقد المذاهب المعاصرة ، تأليف: د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية.
47)الوجازة في شرح الأصول الثلاثة، للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب، شرح وتوضيح، الشيخ علي بن خضير الخضير .
48)الوقت وأهميته في حياة المسلم، جمعه وأعده، الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود.
49)وليم جيمس بقلم : محمود زيدان ، دار المعارف بمصر، بدون رقم الطبعة.